

مع وجدي الملاط في قصر المختارة

والذكريات
صدى السنين الحاكي
(احمد شوقي)

ذات احد من ربيع مشرق منتصف ثمانينات القرن الفائت، دخل الاستاذ وجدي الملاط، رواق قصر المختارة واكمل حتى وصل الى الباحة الداخلية، السماوية للقصر.

تفاجأ بجمع الى مائدة غداء في الباحة، على رأسها وليد بك، والى جانبيه الضيوف، وحوالي المائدة نادلون منتظمون للخدمة، قال: "عفوا وليد بك جئت بلا موعد"، وبدا كأنه يهجم بالعودة، نهض وليد بك من كرسيه بعفوية ودعاه باصرار الى الجلوس مكانه على رأس المائدة قائلا: "انت من أهل البيت يا وجدي بك". امتثل الزائر غير المنتظر، بقبول ورضى، ثم جلس صاحب الدعوة الى جانب الطاولة.

بدأت سبحة الذكريات تكرر، مختزلة مخزونا هائلا من الحدثنان، زبدتها العلاقة التاريخية الوطيدة واواصر الصداقة المتينة التي كانت تربط قصر المختارة بأل الملاط في بعيدا عاصمة جبل لبنان، من زمن شاعر الارز شبلي الملاط والمعلم كمال جنبلاط، واستمرت عبر وجدي بك ووليد بك، على رغم تقلبات الاحوال والظروف.

كان حضور وجدي الملاط، المفاجيء طبعا لذيذا غير منتظر الى مائدة، كانت تغلب عليها، قبل وصوله، رتابة رسمية، ولياقة، وخفر.

يومها، كان وليد بك وزيرا للاشغال العامة والنقل، ووزيرا للسياحة في عهد الرئيس الشيخ امين الجميل في الوزارة التي تشكلت بعد اتفاق لوزان، تحت تسمية وزارة الانقاذ الوطني.

كان المدعوون الى مائدة وليد بك، رئيس وعضوي مجلس تنفيذ المشاريع الانشائية، المهندسون ايلى شعيا، نور الدين غزيري ومالك شمص، ومديره العام كاتب هذه السطور، ورئيس مشروع تجميع المدارس المهندس محمد قباني والدكتور نايف المعلوف ممثلا القطاع التربوي، وعدد من مهندسي المشروع واداريي المجلس منهم المرحوم عفيف ملاعب رئيس المحاسبة.

صباح ذلك اليوم، كان الوفد قد عرج على بلدة بعقلين، بناء على موعد سابق لتدشين "ثانوية بهيج تقي الدين الرسمية" هذا المشروع الذي كان تنفيذه عزيزا على قلب وليد بك، وكان له الفضل الكبير في التنفيذ والانجاز.

بعد التدشين أصر وليد بك على وفد مجلس المشاريع تناول طعام الغداء الى مائدته في قصر المختارة. كانت جرعات العرق البلدي المثلث الذي لا تجد مثله الا في "الدار"، تضي على المهمات والاحاديث، جوا سورباليا، موشى بذكرات غالبية منسية.

وكانت الاحداث الاليمة التي عاشها الوطن آنذاك قد سدلت ستارا قاتما حجب روعة الذكريات المشرقة، ومدلولها، واشعاعها المحيي وصدقيتها وروحيتها الدهرية، سقى الله اياما بل عقودا طويلة عاشها الجبل أمنا مزدهرا موحدا، معافى.

تحول وجدي الملاط، من زائر غير منتظر الى ضيف شرف، وكان المائدة اعدت خصيصا لاستقباله، فكان نجم الدردشات والفقشات، التي تضم طروحات وتساؤلات وجدانية عميقة.

سأل وجدي الملاط، "شو هالحكومة الانقاذ يا وليد بك، التي لا يمكن وزير المال فيها (يومها الرئيس شمعون) ان يصل الى وزارة المال (كانت يومها موقتا في نقابة الصيادلة على طريق النهر) ولا وزير العدل (كان يومها الرئيس بري) الذي يستحيل عليه الوصول من شارع بربور الى وزارة العدل؟ قاطعه وليد بك: لماذا لم تذكر وزارة الاشغال؟ (وكان يومها الوزير جنبلاط). اردف الاستاذ وجدي: "خلينا نحكي عن وزارة السياحة (للووزير جنبلاط ايضا). شو هالوزارة السياحة التي تسلم فيها وزير السياحة مفاتيح قصر المير امين في بيت الدين قبل ان تتسلم الحكومة مفاتيح قصر الامير بشير".

ضحك الجميع وكان وليد بك اكثرهم انشراحا وتعبيرا.
انتقل وجدي بك الى تساؤل آخر، تحولت معه اسارير وجهه، من انفراج الى عبوس، وكذلك بظت معه عيون
الحضور الى خارج جحورها: "وليد بك لا يمكنني ان اتصور كيف ان قاندا وطنيا وعربيا عملاقا بقامة
المعلم كمال جنبلاط يخبر صريحا على درب النضال، بعد دقائق قليلة من مغادرته "الدار" وكيف يبقى هذا
الحدث المفجع حتى اليوم بلا عقاب؟

اجاب وليد بك بصراحة مذهلة لم يكن تأثيرها اقل وقعا من السؤال: "استاذ وجدي، لم يكن امامي تحت وطأة
الفاجعة وظروفها الا واحدا من خيارات ثلاث: - النفي الاختياري الى جانب صديقي العميد ريمون اده في
باريس - ان اسجى الى جانب كمال جنبلاط هنا في باحة القصر الخارجية - ان اقبل بحتمية الخيار الثالث
الذي اعيشه ويعيشه البلد اليوم، الى ان يقضي الله امرا كان مكتوبا".

عند هذا الافصاح المؤثر، هانت المأساة الخاصة بكاتب هذه السطور، الذي هجر من بلده بيت الدين، على
مرمى حجر من مكان التدشين ومن "الدار"، فجهد ليغلب القيام بالواجب الوظيفي والوطني، على أي شعور
آخر بانتظار ما سينفث من غيوم في الآتي من الايام.

حان وقت العودة الى بيروت، وقبل المغادرة والاستئذان من صاحب الدعوة، احسست، لا شعوريا بانه لدى
وليد بك تحسس بما كان يختلجني من شعور وحنين لرؤية بلدتي بعد زمن التهجير، قال: اذا كان السيد ابي
نادر يريد الرجوع من طريق بيت الدين - دير القمر لا مانع واتمنى على السيد محمد قباني الذي كان تبرع
بذلك مواكبته بسيارته.

وهكذا صار بعد تمزق داخلي بين خيارين: العودة الى بيروت دون رؤية بلدتي ولو لثوان او زيارتها خالية
من أهلها تشخص بي عيون سكانها الجدد متسائلة: من هو هذا المار من هنا؟

عدت مساء الى منزلي في بيروت، وفي عمق الوجدان امثولات حية وعبر، حصدها في يوم واحد طويل:
تلاق عفوي خبير، في عز ازمة الوطن وتجاذبات الطامعين، تلاق قيادات وطنية، سياسية فكرية وادبية،
واخرى ادارية وتنفيذية، يفترض فيها جميعا ان تعمل للوطن في يومها كأنها تموت غدا وتعمل له في غدا
كأنها تعيش ابداء، لقاءات تمنيت لو تحصل كل يوم وعلى كل المستويات.

امثولات تذكر بان تاريخ الاوطان هو استعدادات متكررة لاحداث متشابهة لا بد ان ينفذ منها الوطن، الى
تحقيق ذاته الكيانية الدهرية انطلاقا من جبل كان ويجب ان يعود مثلا معبرا عن ان في الوحدة القوة، وفي
التنايد والتفرقة الهزال والزوال.

وعبقت اجواء طريق العودة بلحن مسجل لكبير من جبل الشوف:

"منيح ان حكيا فيك منيح

انت كبير وتبقى كبير

منيح ان حكيا تجريح

يا جبل ما يهزك ريح".

(•) مدير عام متقاعد، الرئيس الفخري لنادي بيت الدين.

بقلم اميل ابي نادر (•)